تاريخ أوربا في العصور الوسطى

المرحلة الاولى /قسم التاريخ

مدرس المادة: م م ابرار محمود صالح

موقف الحكومة الرومانية من الديانة المسيحية (عهد الاضطهاد)

ظهرت المسيحية في الشرق في " فلسطين" ثم انتقلت إلى الغرب وكان مؤسس هذه الديانة هو السيد المسيح " عيسى بن مريم" (عليه السلام) ، وكان لهذه الديانة مبشرين ودعاة منهم أسقف "إنطاكية" القديس " بطرس" والقديس " بولس" مبشرين في "سورية" و" فلسطين" و" آسيا الصغرى" ، والقديس " مرقص " مبشر في " مصر" ، ونتيجة وجود علاقات العبودية في الإمبراطورية الرومانية كان الفلاحون و العمال يرون في المسيحية منقذ لهم من هذه العبودية لأنها تدعو إلى المساواة و لا فضل لإنسان على آخر إلا بالعمل الذي يقدمه لذلك انتشرت الديانة المسيحية بشكل كبير في ولايات الإمبراطورية الرومانية الشرقية (سورية – مصر – آسيا الصغرى) .

٢- العوامل التي ساعدت على انتشار المسيحية :

١- لأن المسيحية ديناً سماوياً عاماً لجميع البشر .

٢- قوة إيمان المسيحيين الأوائل وجهودهم الفائقة في نشر المسيحية .

٣- سمّو المفاهيم الأخلاقية في المسيحية .

٤- الفراغ الروحي الذي كان يعانيه المجتمع الروماني .

٥- ساعد اتساع الأمبراطورية الرومانية وخضوعها لسلطة مركزية على انتقال المبشرين بسهولة .

٦- هيمنة اللغة الآرامية (السريانية) في الوطن العربي ، واللغة اليونانية في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية واللاتينية في القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية ، الأمر الذي ساعد على انتقال المسيحية بسهولة إلى مختلف أجزاء الإمبراطورية .

٣- الإضطهادات التي تعرضت لها المسيحية :

اضطهد الأباطرة الرومان المسيحية نتيجة توسع انتشارها ، وكان أول شهداء المسيحية السيد المسيح نفسه ، الذي "صلب" بأمر من الحاكم الروماني وبدسيسة من اليهود ، وفي عهد الإمبراطور " كلود" ٠

(٤١ – ٥٤ م) طرد المسيحيون من مدينة " روما" ، وفي (سنة ٦٤ م) أحرق اليهود بعض أحياء روما و اتهموا المسيحيين بإحراقها ، لذلك أصدر الإمبراطور " نيرون" مرسوماً يقضي بأن لا يكون أحد مسيحياً ، وقتل القدسين " بطرس" و" بولس" . وفي (سنة ٣٠٣ م) أصدر الإمبراطور " ديوكليسيانوس" أمر بهدم كنائس المسيحيين ومنعهم من الصلاة و إحراق كتبهم وسجن قساوستهم وطردهم من الجيش والوظائف الحكومية ، ولكن هذا لم يردع المسيحيين فأصدر" ديوكليسيانوس " مراسيم يأمر فيها بتعذيب

المسيحيين و قتلهم واعتبرهم خارجين عن القانون ، فلاقى الكثير منهم حتفهم ، لذلك أطلق المسيحيون على هذه الفترة " عصر الشهداء " ، كما أن الإمبراطور " ليبيريوس" اضطهد المسيحية أيضاً .

– الأسباب التي دفعت الرومان إلى اضطهاد المسيحية هي :

١– لأن المسيحيين رفضوا عبادة الإمبراطور الروماني وهذا الرفض يدل على عدم الولاء للدولة الرومانية و إمبراطورها ويعد من العوامل المفككة لوحدة الإمبراطورية .

٢– لخطورة تعاليم المسيحية التي تهدد سلامة الدولة و أمنها .

٣– لأن المسيحية ثورة اقتصادية ضد الاستغلال و التفاوت الطبقي السائد في العالم الروماني.

٤– لأن المسيحية ثورة اجتماعية ضد القيم الاجتماعية القائمة في العالم الروماني .

٥– بسبب الاجتماعات السرية التي كان يقوم بها المسيحيين لممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية .

٦– للاتهامات التي وجهها اليهود ضد المسيحيين .

٧– رفض المسيحيين تأدية الخدمة العسكرية الإلزامية ، وهذا الرفض يشكل خطراً على الجيش و ولائه للإمبراطورية .

٨- تخوفت السلطات الرومانية من انتشار المسيحية في الأراضي الخاضعة للدولة الفارسية – العدوة التقليدية للرومان – ، فخشيت أن يقف هؤلاء المسيحيين إلى جانب الفرس في حروبهم مع الرومان .

٤- مرسوم ميلانو والاعتراف بالمسيحية :

اعترف الإمبراطور البيزنطي " قسطنطين الأول الكبير" بالمسيحية بموجب مرسوم " ميلانو " (سنة ٣١٣ م) الذي نص على ما يلي :

١- إطلاق حرية الأديان المسيحية و الوثنية ، وإعطاء الحرية الدينية للمسيحيين والسماح لهم بممارسة عقائدهم .

٢- إعطاء الحرية الدينية لغير المسيحيين و السماح لهم بممارسة عقائدهم .

٣- إذا كانت الدولة قد اشترت هي أو أحد الأشخاص أماكن كان المسيحيون يجتمعون بها من قّبل فيجب أن تعود للمسحيين ، و إعادة ما انتزع من أملاك الكنيسة .

٥- الآريوسية :

سميت الآريوسية نسبة إلى " آريوس" وهو كاهن اسكندري يرى أن المسيح الابن مخلوق للأب فهو إذاً دونه ، و لا يمكن للابن أن يعادل الأب في المستوى والقدرة ، لذلك فأن أسقف الاسكندرية " إثناسيوس "

أنكر ما قاله "آريوس" وقال أن المسيح والإله متساويين لأنهما من عنصر واحد ، ولذلك حرم "آريوس" من الكنيسة و توجه إلى " فلسطين" ومنها إلى " نيكوميديا " ، وحصل على تأييد هناك من الأساقفة .

٦- مجمع نيقية :

نتيجة تفاقم النزاع بين " آريوس" و" إثناسيوس" دعى الإمبراطور إلى عقد مجمع ديني في " نيقية"

(سنة ٣٢٥ م) ، وكان " قسطنطين الأول" رئيس هذا المجمع ، وقد حضر (٣١٨ أسقفاً) ودامت جلساته (٩٨ يوم) وفي ختام جلساته أدان الأساقفة بالإجماع " آريوس" و تقرر نفيه إلى " ايلّيريا"

واضطهاد أتباعه ، وفي (سنة ٣٣٤ م) عفى " قسطنطين الأول " عن " آريوس" لأسباب سياسية وهي رغبة " قسطنطين " في استرضاء القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية .

٧- الارتداد عن المسيحية (٣٦١ – ٣٦٣ م):

عندما استلم عرش الإمبراطورية الرومانية " جوليان" (جوليانوس) اضطهد المسيحيين و أعلن العودة إلى الوثنية و أهم الإجراءات التي اتخذها هي :

١- أمر بفتح المعابد الوثنية .

٢- سمح بعودة الوثنيين المنفيين .

٣- تقديم الهبات و الإمتيازات لكهنة المعابد الوثنية .

٤- تجريد الكنائس من التحف و نقلها إلى هياكل المعابد الوثنية .

٥- حرم المعلمين اليونانيين المسيحيين من تعليم العلوم اليونانية .

٦- أبعد المسيحيين عن المناصب العليا في الحكومة و الجيش .

٨- تيودوسيوس الأول و المسيحية (٣٧٨ – ٣٩٥ م) :

وذلك من خلال دعوته لعقد المجمع الديني المسكوني الثاني في " القسطنطينية " (سنة ٣٨١ م) فأقر ذلك المجمع إدانة المذهب الآريوسي و تأييد المذهب النيقيوي ، وبذا قضى هذا الإمبراطورعلى الوثنية والآريوسية ودمر معالمها واضطهد أتباعها في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية .

٩- تنظيم الكنيسة المسيحية :

١- في البداية كان لكل كنيسة أسقفها الخاص و يساعده عدد من القساوسة و الشمامسة .

٢- ثم أصبح "المطران" رئيساً لكل الأساقفة اللذين يقيمون داخل الولاية التي يقوم هو على كنيسة عاصمتها وفي القرن الرابع أصبح هناك ستة " بطاركة" يقيمون في القسطنطينية وروما و إنطاكية والقدس و الاسكندرية و قرطاجة .

٣- وقد أسس كنيسة "إنطاكية" القديسان " بطرس" و" بولس" و كنيسة " روما" القديس " بطرس"

وكنيسة " الاسكندرية" القديس " مرقص" ، ثم أصبح لأسقف " روما" الزعامة الروحية في الغرب .

– أبعاد مشكلة العصور الوسطى على ضوء نظرية " هنري بيرين " :

اقترحت بعض التواريخ لبداية العصور الوسطى فقد تم اعتبار :

١– اعتبرت(سنة ٣١٣ م) وهي السنة التي اعترف " قسطنطين " بها بالمسيحية بداية للعصور الوسطى .

٢– اعتبر ت (سنة ٣٣٠ م) وهي السنة التي اتخذ فيها " قسطنطين" القسطنطينية عاصمة له ، بداية للعصور الوسطى .

٣– البعض من يعتبر بداية العصور الوسطى (٣٢٥ م) وهو العام الذي عقد فيه ط مجمع " نيقية " .

٤– البعض من يعتبر بداية العصور الوسطى (٤١٠ م) وهو العام الذي أحتل فيه الزعيم الجرماني

(زعيم الغوط الغربيين) " ألارك" مدينة " روما" .

– وأهم النظريات التي طرحت عن بداية العصور الوسطى هي نظرية المؤرخ البلجيكي " هنري بيرين" (١٨٦٢ – ١٩٣٥ م) .

– عرض " بيرين" في كتابه (محمد و شارلمان) نظرية في انهيار العالم القديم وبداية العصور الوسطى وأهم النقاط التي تعنينا في نظرية " هنري بيرين " هي :

١- يقول " بيرين" إن أهم ما يميز الإمبراطورية الرومانية هو ارتباطها بالبحر المتوسط ارتباطاً وثيقاً لأن حضارة العالم الروماني تمركزت على هذا البحر الذي كان أداة لنقل الأفكار والديانات والسلع وأن عظمة الإمبراطورية الرومانية و استمرارها مرتبط بوحدة هذا البحر و بقائه بحيرة رومانية .

٢- يقول " بيرين" أن " الجرنان" لم يحطموا الإمبراطورية الرومانية و حضارتها لأنه لم تكن هناك دوافع دينية أو ضغائن دينية بين الجرمان و الرومان .

٣- يقول " بيرين" أن الفتوحات الإسلامية هي التي قضت على الإمبراطورية الرومانية و الفتوحات العربية الإسلامية أدت إلى النتائج التالية :

1- تحطيم وحدة البحر المتوسط وتغير ميزان القوى فيه.

2- الفتوحات العربية الإسلامية قضت على الحركة التجارية الأوربية في البحر المتوسط ، وعملت على قطع العلاقات التجارية بين الشرق و الغرب .

3- تحول البحر المتوسط من بحيرة رومانية إلى بحيرة عربية إسلامية ، وبذلك تحول الاقتصاد الأوربي إلى اقتصاد مغلق يعتمد على الاكتفاء الذاتي ، لذلك انهار العالم القديم و بدأت العصور الوسطى .

4- أن التجار المسلمين لم يمارسوا نشاطهم خارج حدود العالم الإسلامي .

– ويقـــول " بيـــرين" أن الـــذهب و زيـــت الزيتـــون و البـــردي و النبيـــذ و المنســـوجات الشـــرقية و التوابـــل كانـــت تـــأتي مـــن الشـــرق إلـــى الغـــرب الأوربي وظلت تستهلك ثم اختفت في القرن الثامن الميلادي حيث :

١– حلـت النقـود الفضـية محـل النقـود الذهبيـة التـي كانـت تصـنع بكثـرة في عهد الفرنجة الميروفنجيين .

٢– انقطاع ورق البردي المستورد من مصر .

٣– انقطاع زيت الزيتون المستور من تونس .

٤– توقف استخدام الأقمشة و المنسوجات الشرقية في أوربا .

٥– توقـف اسـتخدام النبيـذ الفلسـطيني الـذي كـان يسـتعمل فـي الطقـوس الدينية .

٦– توقف استعمال التوابل في الغرب الأوربي .

– ويصـل" بيـرين" فـي نهايـة تحليلاتـه إلـى نظريتـه القائلـة بـأن الغـزوات الجرمانيـة ليسـت هـي المسـؤولة عـن سـقوط العـالم الرومـاني، وأن الفتوحات الإسلامية هي التي حطمت الإمبراطورية الرومانية .

– الحقـائق التـي توصـل إليهـا البـاحثون المتخصصـون فـي دراسـتهم النقدية لنظرية "هنري بيرين" هي :

أولاً – مسألة تحطيم وحدة البحر المتوسط :

– أثبتت الدراسات الحديثة الحقائق التالية :

١- أن البحر المتوسط طريق للتجارة وليس ضماناً للنجاح التجاري .

٢- إن الإمبراطورية الرومانية تفككت وحدتها نتيجة الغزوات الجرمانية التي اجتاحت الإمبراطورية منذ القرن الرابع الميلادي ، وانه عندما فتح العرب المسلمون " إسبانية" كانت بيد الغوط الغربيين و ليس بيد الرومان .

٣- أن الفندال الجرمان الذين استولوا على شمال أفريقية (عام ٤٢٩ م) قد قاموا بأعمال قرصنة في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، لذلك هم الذين تسببوا في تحطيم وحدة عالم البحر المتوسط .

- و قد أثبت البحث العلمي الموضوعي :

١- لم يذكر في القرآن أو في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى تحريم أو منع العرب المسلمين من المتاجرة مع غير المسلمين .

٢- رغم أن الفتوحات العربية الإسلامية قد خلقت مصادر أخرى للرزق كالزراعة والصناعة ظل العمل التجاري هو المهنة الرئيسية لقطاع كبير من العرب المسلمين .

٣- قام التجار العرب المسلمين مستوطنات تجارية خارج حدود العالم العربي الإسلامي .

٤- أن سكان إيطالية و غاليا كانوا يعتمدون على القمح المستورد من مصر و آسيا و أفريقية الشمالية ، وأن مدينة " روما" مدينة طفيلية كانت تعيش على موارد البلاد المجاورة لها .

ثانياً – مشكلة الذهب :

- قال " بيرين" أن الفتوحات العربية الإسلامية أدت إلى اختفاء الذهب إلا أن البحث العلمي أثبت مايلي :

١- اتجاه الذهب من الغرب إلى الشرق كان منذ القرن الثالث الميلادي .

٢- برهن " لوبيز" أنه منذ أواخر القرن السادس الميلادي ازداد إنتاج العملة الفضية ونقص الذهب في أواخر عهد الميروفنجيين .

٣- إن سبب نقص الذهب هو لأن الغرب كان يستورد أكثر مما يصدر .

٤- إن نقص الذهب هو نتيجة رغبة رجال الدين و الإقطاعيين في الغرب الأوربي بسحب الذهب و خزنه .

ثالثاً – مشكلة البردي :

- قال" " بيرين" نتيجة الفتح العربي الإسلامي لمصر توقف تصدير البردي إلى الغرب الأوربي غيرأن ذلك غير صحيح للأسباب التالية :

١- يقول : " دانيت" أن تصدير البردي إلى الغرب بقي بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر .

٢- أن الميروفنجيين استمروا في استخدام البردي القادم من مصر بعد الفتح العربي الإسلامي لهذا البلد لأكثر من نصف قرن.

٣- منذ القرن السادس الميلادي أخذت المؤسسات الأوربية تكتب وثائقها و أخبارها على الصحائف الجلدية وذلك لأن أوراق البردي لم تكن قادرة على مقاومة الأجواء الرطبة .

٤- أن صناعة الورق انتقلت من الصين إلى العرب الذين نقلوها بدورهم إلى الغرب الذين لم يستخدمونه في البداية و أخذوا يستخدمون في البداية جلود الحيوانات .

رابعاً – مشكلة النبيذ :

- يقول: " هنري بيرين" أن الكنيسة الغربية توقفت عن استخدام النبيذ الفلسطيني في طقوس "الغربان"، وحقيقة الأمر أن المسلمين لم يشجعوا على صناعة الخمور لأنه محرم في الديانة الإسلامية ، ولكن على الرغم من ذلك ظلت صناعة الخمور بشكل محدود في المشرق العربي الإسلامي ، لأن الكنائس المسيحية في فلسطين و سورية ظلت تستخدم النبيذ في الطقوس الدينية ، كما أن بعض خلفاء بني أمية كانوا من المدمنين على تناول الخمور .

خامساً – مشكلة الأقمشة و التوابل :

أثبت العالم البلجيكي " ساب" حديثاً أنه لا يزال هناك تيار من واردات الأقمشة الشرقية خلال القرنيين التاسع والعاشر ، كما تدفقت التوابل إلى الغرب الأوربي بعد حوالي قرنيين أو أكثر من الفتح العربي الإسلامي .

– وهكذا تهاوت نظرية " هنري بيرين" وتحطمت أساسياتها أمام البحث العلمي الموضوعي .